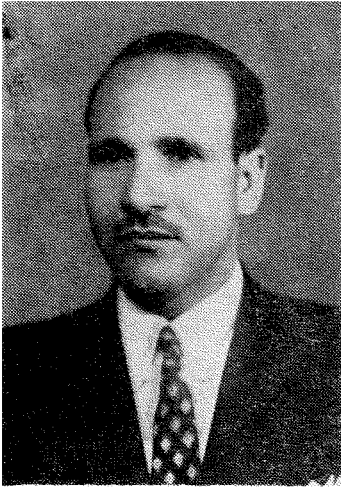


# مأساة فلسطين

مصدر وحي وإلهام في الشعر الحديث

بقلم لامل السوافيري

حزنا على وطنها الضائع فبكته في قصائد كثيرة . ومن الشعراء معين بسيسو وهارون هاشم رشيد ومحمد العدناني ويوسف الخطيب ورجا سميرين و خليل زفطان وكلهم صنعته المأساة ، وفجرت في قلبه ينابيع الشعر ، ول بعضهم ديوانان وثلاثة واربعة . والى جانب ذلك حولت المأساة بعض شعراء فلسطين من التيار الرومانسي الحالم الى التيار القومي ، وبتعبير أدق حولت اتجاههم الشعري اليها . وبحسبنا ان نمثل بالشاعر ابي سلمى



الذي كان قبل المأساة شاعرا وجدانيا يعشق الحسن ، ويعبد الجمال ، ويناجي القمر ، ويفازل الزهر . والشاعرة فدوى طوقان التي كانت قبل المأساة ايضا تشدو بأحلام قلبها ، وتهوم في روح الوجود ، وتحلق في سماء التأمل .

وفي الاقطار العربية كانت جوانب المأساة وأهوالها ومظاهرها مصدر الوحي والالهام لدى اعلام الشعراء وكواكبهم المتألقة في سماء الشعر ، ولا حاجة بنا الى سرد الاسماء . كما كانت هذه المظاهر مصدر الوحي والالهام في شعر الشعراء العرب في المهجر الاميركية ولن نذكر الاسماء ايضا . وكنت أود ان اسوق الشواهد ، وأقدم الامثلة ولكني اكتفي بعرض صورتين الاولى رسمها خيال الشاعرة فدوى طوقان لاشلاء قومها ابناء فلسطين الذين بعثتهم المأساة ومزقتهم شرمزق :

خلال دخان علا واستدار رأيت الحمى خربة ماحله  
على العتبات تدب هوام وتعبر قافلة قافلة

كانت مأساة فلسطين التي وقعت قبل ستة عشر عاما مصدر وحي ونبع الهم في الشعر العربي الحديث . وجد فيها الشعراء ارحب الميادين . واخصب المجالات فاستوحوا منها كل مظهر ، واستلهموا كل جانب . لقد أوجدت فلسطين قبل المأساة موضوعات جديدة تناولها الشعر مثل وعد بلفور الذي لا تكاد نجد شاعرا عربيا لم يثر عليه وعلى ميرمه . والهجرة اليهودية او بالاحرى الغزوة الصهيونية التي غزيت بها فلسطين وقد استوحاها معظم الشعراء . ولكن المأساة التي حدثت سنة ١٩٤٨ أوجدت موضوعات ، وأحدثت جوانب لم تكن موجودة في الشعر الحديث من قبل . فقرار التقسيم الظالم لافى من الشعر السخط والغضب والثورة ، وهينة الامم ووسيطها ومجلس امنها وضمائر أعضائها تعرضت لاسنة اهيب الشعر ، وضرام نيرانه لانها نات عن الحق ، وجانبت العدل ، وانحازت الى الباطل .

واسرائيل نار الشعر على مولدها ، وأماط اللثام عن اخلاق ابنائها ، وما جبلوا عليه من عبادة المال ، وتنكر للقيم والمبادئ ، وندد الشعر بالوحشية التي ظهرت من اليهود في قريتي دير ياسين وناصر الدين ، وكيف اتضح تعطشهم للدماء ، وفتكهم بالابرياء .

واللاجئون وبؤسهم وتشردهم في المهامه والفقار وخيامهم السود وحنينهم للوطن ، وأملهم في العودة - موضوعات شعرية جديدة أوجدتها المأساة . والشعراء الذين هزتهم المأساة ، وفجرت فيهم ينابيع الشعر ، وأذابوا عواطفهم في أهوالها عبروا بأساليب جديدة ، وابتكروا من ضروب الخيال صوراً جديدة تتفق مع فداحة المأساة ، وضخامة فواجعها . ويصدق هذا على الشعراء من ابناء فلسطين والشعراء من ابناء الاقطار العربية والمهاجر الاميركية . وقد وضحت في كتابي « الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين » اثر المأساة في الشعر في الموضوعات والاساليب اي ما يشمل الافكار والالفاظ والعواطف والصور وما فيها من طرافة وجدة وأصالة وابداع . ولا ريب في ان تأثر ابناء فلسطين بالمأساة كان أقوى وأشد لانهم ابناءها الذين اخترقوا بنارها ، وتقلبوا على جمرها ، وتناثروا كالشظايا ، وتطايروا كالشرر ، ومن مظاهر هذه القوة ان المأساة خلقت منهم شواعر وشعراء صنعتهم فواجعها ، وأنطقتهم أهوالها فاستلهموها في مئات القصائد الباكية وعشرات الدواوين المطبوعة وكلها من الشعر الملتمزم البعيد عن الذاتية . فمن الشواعر دعد الكيالي التي اعترضها الاسى

لشاعر ابراهيم العريض ، و « النازحة » للشاعر محمد شمس الدين (1) .

وكما أوجدت المأساة الدامية شعرا غنائيا وقصصيا أوجدت أيضا شعرا مسرحيا ، وبحسبي أن أقدم مسرحية « شبح الأندلس » للشاعر برهان الدين العبوشي التي تقع في ثلاثة فصول وتتناول أحداث المأساة منذ زحف الجيوش العربية الى فلسطين في اليوم الخامس عشر من مايو سنة ١٩٤٨ الى توقيع اتفاقية الهدنة في سنة ١٩٤٩ .

وإذا كانت المأساة مصدر وحي ونبع الهام في الفترة التي مضت فانها لا تزال بعد مرور ستة عشر عاما على المأساة - وستظل - مصدرا ثرا من مصادر الوحي ، ونبعا من منابع الالهام يستوحىها الشعراء من أبناء فلسطين وأبناء الاقطار العربية على اعتبار انها مأساة عربية قومية عامة لا مأساة خاصة . مأساة العرب في القرن العشرين التي أيقظت الوعي ، ونهبت الفكر ، وكشفت عن الأخطاء وأحدثت في دنيا العرب أعظم انقلاب في السياسة والشؤون الحربية والفكر والادب .

### كامل السوافيري

ماجستير في الادب العربي

### مصر الجديدة

١ - درسنا كل ملحمة من هذه الملحم دراسة مفصلة في كتابنا الذي اشرنا اليه .

وبين الروايا عناكب تحبو  
وأبصرت اشلاء قومي هنا  
عيون مفقاة بعثرت  
وأيد مقطعة ووجوه

وتمعن في زحفها وأغله  
وهناك على طرق السابله  
على الارض حباتها السائلة  
غذا التراب ألوانها الحائلة

ولست في مجال شرح هذه اللوحة الفنية الرائعة والثانية للشاعر العراقي ابراهيم الوائلي عن زمر اللاجئيين :

زمر بانث على مسغبة  
فيتيم أفلت اليتم به  
وفتاة أسندت راحتها  
ورضيع كلما اشتد به  
لم يجد في الثدي اذ يلمه

تحصد الشوك وتقتات الفشاء  
من وحوش ملأوا الليل عواء  
طفلة تبكي وأما نفساء  
ألم الجوع احتسى الدمع غذاء  
بيد واهنة الا دمساء

والصورة الكلية او اللوحة الفنية واضحة لا تحتاج لشرح . ونترك الشعر الغنائي وما ظهر منه من دواوين استوتحت معظم قصائدها المأساة وأربى عددها على الخمسين الى الشعر القصصي لنجد ان المأساة أوجدت شعرا قصصيا أو ملاحم قصت أحداثها ، وسردت جوانبها الدامية وصورت مظاهر البؤس والوان الشقاء ، ومجدت البطولات . وبحسبنا أن نشير الى « المهزلة العربية » للشاعر محمود الحوت ، و « رسالة الشعر القومي » للشاعر محمود محمد صادق ، و « أرض الشهداء »

## آخر منشورات «دار الاداب»

### \* مشكلة الحب

بقلم الدكتور زكريا ابراهيم ٥٠٠

### \* قضايا الشعر المعاصر

بقلم نازك الملائكة ٤٥٠

### \* ازمة الجنس في الرواية العربية

بقلم غالي شكري ٤٥٠

### \* الاشتراكية والادب

بقلم الدكتور لويس عوض ٣٥٠

### \* الشعبوية والقومية العربية

بقلم عبد الهادي الفكيكي ١٥٠

### \* الحضارة العربية الجديدة وحتمية

### الثورة

ق.د

تأليف انور قصيبياتي ٢٠٠

### \* طريق الانسان الجديد بين

### الحرية والاشتراكية

تأليف احمد حيدر ٢٠٠

### \* مع الامام علي من خلال نهج البلاغة

تأليف خليل الهنداوي ٢٥٠

### \* اصابعنا التي تحترق (رواية)

بقلم الدكتور سهيل ادريس ٤٠٠